الفصل الحادي عشر

الرئيس عبد الوهاب

عاد الرئيس عبد الوهاب من نادي الضباط نصف مخمور وقد مايلته نشوة السرور.. فشاهد أخوه أحمد في الصالة مع زوجته وابنه. ووالـده يصغي الى أحمد، وأخته عائشة تشرب النارجيلة وتلاعب عزيـز الـذي كان يرجوها أن تسمح له بالكركرة قليلا فينفخ فيها ويضحك من أعمـاق قلبه.

كان يسير في زهو بحركات صاخبة وهو يحمل معه صورة كبيرة، علقها على الجدار، وأخذ يترنم بأغنية مرحة وهو يجلس علـى الكنبـة تحتها. ونظر أحمد الى الصورة قبالته فلم يستطع أن يكبح نفسه أن يقول بلهجة ساخرة:

- ما شاء الله، ما شاء الله! لم تترك صورة الا علقتها فوق رأسك!

ولم يمتعض عبد الوهاب بل هتف وقد استخفه الفرح:

- أربعة وزراء منا ونائب رئيس. الحكم فـي يـدنا. سـترون يـا شيوعيين!

وأخذ يقهقه وقد دارت برأسه الخمرة:

- خطوة وأخرى وأصبح أنا الآخر وزيرا! انك أحمق يـا أحمـد، لاتعرف أقصر طريق الى المجد. قلت لك المستقبل لنـا فلـم تـصدق. أرأيت؟ الرئيس المصري في جيبنا، انه ينفذ إرادتنا. جاء ليخلصنا مـنكم ياشيوعيين!..

ودلف عبد الوهاب الى فراشه مبكرا تداعب جفنيه أحـلام المجـد.. الوزارة! انها منه دانية دنو دقات قلبه من مسمعه. وأفاق مفجرا ليطيـر الى القاهرة لحضور احتفالات الوحدة. وراعته القاهرة بفخامـة أبنيتهـا

واتساعها ونيلها. وبدت له دمشق وكأنها ناحية من نواحيها. ونزل فنـدق هيلتون، وحضر ولائم قصر القبة.

كان الرئيس عبد الوهاب تستهويه الحياة الفاخرة دائما لكأنما يريد أن ينتقم لما ناله من حرمان في طفولته، اذ كان والده كثير العيال قليل الدخل بالرغم من وظيفته الحساسة وقيمته الاجتماعية الكبيرة، لما عرف به من نزاهة وفراسة وانصاف. فكان يرتدي ملابسه بأناقة زائدة ويحلم بالزواج من فتاة ثرية عريقة النسب، ويرتاد أفخر المطاعم ويختار للهوه أتـرف الملاهي. فلم يشاهد في القاهرة سوى البريق، البريق الذي خطف أبصاره فعاد يحمل ذلك البريق في تألق عينيه وإشراق وجهه ولهجته وهو يتحدث الى الرئيس راجي وهو ضابط فلسطيني من دفعته عمـا شـاهد عنـدما صادفه في الطائرة في عودته الى دمشق.

- فندق عظيم، فندق هيلتون. ينظر الإنسان من نافذته وهـو نـائم فيرى النيل، وينظر هكذا فيرى النخيل، وينظر هكذا فيرى الاهرامات...

وقاطعه الرئيس راجي بلهجة هادئة متزنة:

- وينظر هكذا فيرى الأطفال يلمون أعقاب السجائر من الطرقات!.

وصمت الرئيس عبد الوهاب على امتعاض وأردف الرئيس راجي:

- ذهبت لأزور الأزهر، فأمسك بتلابيبي مائة متسول فلم أستطع أن أخطو خطوة، وفي الموسكي سرق أحـد النـشالين محفظـة نقـودي، واضطررت للإستدانة من رفاقي حتى عدت.

وضحك الاثنان معا. وقال عبد الوهاب بكرم المجاملة:

- اذا كنت بحاجة الى نقود فهاك محفظتي.

وشكره الرئيس راجي وأخرج من جيبه صحيفة المساء، ونظر الـى العناوين فتجهم وجهه وقال:

- ماهذا؟ أيستقيل قائد جيشنا ولم تنته بعد أفراح الوحدة؟

وابتسم الرئيس عبد الوهاب في شماتة دون أن ينبس بحرف، وأردف الرئيس راجي:

- لماذا يستقيل رجل مثله وقف المواقف المشرفة في سوريا؟ أليس هو صانع الوحدة فكيف ينكص عنها الاّ أن يكون في الأمر شيء خطير. هذه صفعة لسورية ولكل ما هو شريف فيها.

وعندما بلغ عبد الوهاب منزله لمعت تحت ضوء الشارع مزق صورة متناثرة على الطريق تحت شرفة غرفته تماما. وتبين فيها صورة الرئيس المصري. وخشي عبد الوهاب أن يرى أحد المزق فلملمها ووضعها في جيبه لإحراقها.. ولم يجرؤ أن يلوم أخاه أحمد في شيء وهو ثائر الأعصاب. واكتفى أن قال له اذ رآه جالسا قرب المذياع في الصالة غارقا في التفكير.

- البلد ملأى بالأكفاء.. هل تخرب الدنيا اذا استقال قائد الجيش؟

ورد أحمد مغيظا وهو ينظر الى ساعته ثم يدير مفتاح المذياع بعصبية:

- لاتخرب الدنيا، بل تعمر بكم. انك لاتعلم بأنه عندما يمثل شخص ما تيارا شريفا في البلاد فكل ما يصيبه من أذى هو ضربة موجهة لجميع الشرفاء. انني منذ الآن أحكم على أن أمورا توشك بسوريا هي ليست في صالح شعبها أبدا!..

وفي صباح اليوم التالي ذهب عبد الوهاب الى رئاسة الأركان فوجدها في غليان وسأل أحد الضباط عن الخبر فقال له:

- ان ضباطا فلسطينيين سرحوا من الجيش. واعتقل أحدهم لأنه في سـ ـورة غـ ـضبه مـ ـزق صـ ـورة الـ ـرئيس المـ ـصري..

- من هو؟

- الرئيس فؤاد راجي.

- انه يستحق.. سمعته بأذني البارحة يشتم الوحدة.

أما عبد الوهاب فانه خرج من تلك الغمرة تلمع نجـوم مقـدم فـي الجيش على كتفيه، فصديقه المقدم حميد لم يتركه بعد أن أصبح وزيـرا دون أن يسحبه معه الى الأعلى، وترك منزل أهله واستأجر شقة واسعة من بناء حديث في المالكي، وأثثها برياش أنيق، وأخذ يولم لزملائه مـن الضباط المصريين وضباط المباحث ويوطد صداقته بهم.

وفي ذلك الجو الإحتفالي تعرف الى سهام نصر فأحبها وارتبط بهـا بالرغم من تحذير أخته حياة له بأنه لم يحسن الإختيار.